



جاءت الدعوة الروسية لقيادة حركة حماس لزيارة موسكو انطلاقاً من عبارات الرئيس بوتين الذي قال: إن حرق الجسور شيء سهل جداً، لكننا لا نفضل ذلك، فهذا أمر لا مستقبل له. فقد أدركت روسيا أن حركة حماس قد فازت في انتخابات قانونية شهد على نزاهتها المجتمع الدولي عبر مراقبين أرسلهم لتابعاتها. ورأت روسيا أن الغرب سيكون مجبراً على التعامل مع هذا الواقع الذي ما انفك يدعو إليه والمتمثل بإجراء انتخابات نزيهة، لذلك بادرت روسيا بإعلانها لقاء قادة حماس في موسكو مفضلة أن تكون في بداية الركب على أن تكون في آخره.

أما الهدف الروسي من اللقاء المتوقع انعقاده في بداية شهر آذار/مارس ٢٠٠٦، كما أعلن عنه المسؤولون الروس، فيتلخص في نقل رسالة من المجتمع الدولي لقيادة حماس بضرورة تغيير موقفهم واتخاذ قرارات مسؤولة لما فيه مصلحة الشعب الفلسطيني. وأن على حماس أن تكون واقعية وتغير للحصول على الدعم الدولي. وسيركز الجانب الروسي خلال المحادثات المتوقعة على أن تحترم حماس كافة الاتفاقيات الموقعة مع الحكومة الإسرائيلية، وأن لا تقوم بأعمال عنف، وأن تعترف بحق (إسرائيل) في الوجود. وأكدت مصادر في موسكو على أن طرح روسيا يتلخص بأن (إسرائيل) وجدت تبقى وعلى حماس احترام مسار التاريخ.

الضغط على حماس

يأتي الموقف الحكومي الروسي هذا خلافاً لما يراه يفغيني بريماكوف أحد دهاقنة السياسة الروسية. فقد قال بريماكوف إنه من الخطأ حالياً الضغط على حماس، وعلى العالم أن لا يحشرها في الزاوية أو الطلب منها فوراً الاعتراف بـ(إسرائيل) لأنها -والقول ما زال لبريماكوف- ستعترف بها بنفسها وستسير على خطوات منظمة التحرير الفلسطينية.

عملياً، إن ما ستطلبه موسكو من حركة حماس هو ما تطلبه (إسرائيل) والولايات المتحدة والمجموعة الأوروبية، وبالتالي فليس هناك أي شيء تستحق موسكو الشكر عليه، سوى مبادرتها بالدعوة. يشدد باحثون ومسؤولون حكوميون روس أنه ليس لدى موسكو أعداء وأصدقاء، إنما لديها

إعلامياً رحباً لحركة حماس (الإرهابية) التي تدير مواقعها الإلكترونية من خلال شبكات إنترنت روسية وخاصة شركة «داتا فورس». وتابعت (إسرائيل) حملتها مذكرة أن روسيا تعتبر «جماعة الإخوان المسلمين، إرهابية وحماس فرع لجماعة الإخوان المسلمين، لذلك على روسيا ضم حماس لقائمة الإرهاب الخاصة بها. وتابعت أوساط في الحكومة الإسرائيلية قولها أن حماس جزء من الحركة الإسلامية العالمية التي تنوي إعادة الخلافة الإسلامية، وسيكون القوقاز وآسيا الوسطى الدائرين في الفلك الروسي جزءاً من هذه الخلافة، الأمر الذي سينعكس سلباً على النفوذ الروسي في تلك المناطق. وأضافت أن حماس قتلت ٥٥٠ إسرائيلياً خلال انتفاضة الأقصى كان الكثير منهم روسي الأصل.

الموقف الروسي

تقول روسيا إن توجيهها الدعوة لقيادة حركة حماس يأتي ضمن قراراتها السيادية وإنها أدري بمصالحها. ولم تعر القيادة الروسية الانتقادات الإسرائيلية اهتماماً يذكر معتبرة أن ما تقوم به (إسرائيل) لا يعبر سوى عن استخفاف بالعقلية الروسية. وذكرت موسكو أن حماس ملتزمة بالهدنة فيما كتائب الأقصى -الجناح العسكري لحركة فتح- نفذت عمليات أسفرت عن مقتل أكثر من ٤٠ إسرائيلياً ومع ذلك فإن حركة فتح ليست على لائحة الإرهاب، وإن فتح كانت مسيطرة على السلطة الوطنية وحكومتها، ومع ذلك فلم يتم وقف الدعم عن الشعب الفلسطيني، فلماذا يتم كل ذلك بعد أن فازت حركة حماس؟

مصالح تنطلق منها في سياساتها الداخلية والخارجية. وموسكو بلقائها قادة حماس تنطلق من مصالح خاصة جداً بها، ولا تأخذ بالاعتبار المصالح الوطنية الكبرى للشعب الفلسطيني. وبذلك تكون موسكو قد كررت مواقف الاتحاد السوفياتي السابق من قضية الشرق الأوسط. وتسعى موسكو من وراء تقربها من حركة حماس كسب ود الشارعين العربي والإسلامي اللذين خسرتهم عملياً من خلال حربي أفغانستان والشيشان ومناصرتها للصرب ضد البوسنيين والألبان في كوسوفا. وبذلك تكون موسكو عززت حضورها في مؤتمر العالم الإسلامي الذي تتمثل بعضوية مراقب فيه. وستحاول روسيا من خلال لقاءها المرتقب تعزيز حضورها على المستوى الدولي من خلال دور فاعل في اللجنة الرباعية التي تدير دفتها الولايات المتحدة، بعدما أدركت موسكو أن حضورها الدولي كوسيط في قضية الشرق الأوسط لا يتعدى كونه شاهداً ليس له تأثير على مجرى الأحداث. وهذا ما شعرت به روسيا من خلال رعايتها لمؤتمر مدريد ١٩٩١ ومن خلال اللجنة الرباعية. وإذا استطاعت روسيا الحصول على مؤطىء قدم في الشرق الأوسط من خلال تحالفها مع حماس وسوريا وإيران تكون قد حلت جزءاً من طوق العزلة التي تحاول الولايات المتحدة وجورجيا نيتهما للحاق بحلف الناتو وإعلان رومانيا وبلغاريا عزمها على منح قواعد عسكرية للولايات المتحدة على أراضيها. وتتوقع روسيا استغلال علاقاتها بحماس لتطويع علاقاتها السياسية المرتقبة بالعالمين العربي والإسلامي إلى علاقات اقتصادية كانت قد فقدتها بعد انهيار المعسكر الشيوعي. ويتقاربها من الدول الإسلامية تحاول روسيا لعب دور الوسيط بين الشرق والغرب، خاصة بعد الأحداث التي شهدتها العالم إثر نشر الصور الكاريكاتورية المسيئة للرسول محمد ﷺ لأن أي مضاعفات ستعكس على الداخل الروسي الذي يعيش فيه أكثر من ٢٠ مليون مسلم.

حماس التي رحبت بالدعوة الروسية والتي وصفتها بالخطوة الشجاعة أعلنت أنها ستتعاطى مع كل الدول باستثناء (إسرائيل). ورأت حماس أن أهمية هذه الدعوة تتمثل في أنها جاءت من دولة كبرى عضو في مجلس الأمن ووسيط في قضية السلام. وستحاول حماس في مباحثاتها مع الروس التأكيد على انهيار السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، وأن الفراغ الجيوسياسي الناجم عن فشل السياسة الأمريكية يمكن لروسيا أن تعوضه. ■